الاول الطبيب الذى يعالج العبيد . إنه لايستمع اليهم . الحديث من طرف واحد فحسب .

يقوم الطبيب بالتشخيص وتحديد العلاج من خلال تجاربه القديمة وكأن لديه معلومات وثيقة عن كل شىء .

والثانى طبيب الاحرار الذى يستمع للمرضى بعناية . ولكنه يحدثهم طويلا عن الجسد الانسانى وكيف يعمل . يحاول إدخال الطمأنينة إلى قلوبهم ولكنهم لايريدون أن يتعلموا الطب فهم يبحثون عن الشفاء . . فحسب .

وهذا هو الكاتب الشاعر الألمانى جوتة .

إنه أحد الأدباء القلائل الذى كان ظمآنا للمعرفة فشهد عمليات التشريح حتى لاينفر من شىء . وحضر دروسا طبية ليعرف الإنسان فى حالات ضعفه فيحسن وصفها .

وقليل من الادباء فعلوا ذلك ولكن جوتة رأى أنه لا يستطيع أن يصف المرض دون أن يعانيه أو على الاقل يرى بعض المرضى .

وهذا هو برنارد شو الكاتب الايرلندى الساخر يصف منذ أكثر من نصف قرن ما أصبح إهمالا شائعا من بعض الاطباء .

ففى مسرحيته « ورطة طبيب » يروى بالحوار قصة طبيب استأصل « أحد الجيوب » لمريضة فرأت شقيقتها أن تستأصل « جيبا » دون أن يكون لديها ما تعانى منه وتقاسى .

أجرى الطبيب العملية ساخرا عاتبا ضاحكا ففتح معدة سيدة سليمة ولكنه وهو « يخيط » الجرح تذكر أن الممرضة نسيت قطعة من الإسفنج في معدة المريضة !

●●●

ولعل الكتّاب الروس هم أكثر الذين كتبوا عن الأطباء نظرا للأحوال السيئة التى مربها المجتمع الروسى .

هذا أديب روسيا الكبير تورجنيف يروى حالة الطبيب الذى يرى أمامه مريضا تزداد حالته سوءاً فيفقد الثقة بالنفس .

إن المريض فى هذه الحالة يهزم الطبيب فتتلاشى ثقته بالنفس . ويصبح خائفا ينسى كل ما تعلمه .